

الرَّسَالَة ١٠٩

أَذْكِيَاءٌ وَلَكِنَّهُمْ أَغْبِيَاءٌ

(Arabic - As wise, yet unwise)

أَحْبَائِي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: "أَذْكِيَاءٌ وَلَكِنَّهُمْ أَغْبِيَاءٌ"

وَمِنْ الرَّسَالَةِ إِلَى أَفْسُسَ الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ نَقْرَأُ مِنَ الْعَدَدِ الْخَامِسِ عَشَرَ إِلَى السَّابِعِ عَشَرَ:

"فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ لَا كَجُهْلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ".^١

مَنْ هُمُ الْأَذْكِيَاءُ؟. إِنَّ الْإِجَابَةَ الَّتِي نَتَوَقَّعُهَا مِنَ الْغَالِبِيَّةِ الْعُظْمَى مِنَ النَّاسِ. أَنَّهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بِاسْتِطَاعَتِهِمْ اسْتِغَابَ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ. وَالَّذِينَ لَهُمْ قُدْرَاتٌ فَدَّةٌ لِكَسْبِ الْمَالِ الْوَفِيرِ بِإِقَامَةِ الْمَشْرُوعَاتِ النَّاجِحَةِ. وَالَّذِينَ لَهُمْ مَهَارَةٌ وَبِرَاعَةٌ لَهُمْ سَرِيعٌ لِمُقْتَضِيَّاتِ سُوقِ الْمَالِ وَانْتِهَازِ الْفُرْصِ الْمُؤَاتِيَةِ لِلِاسْتِثْمَارِ النَّاجِحِ. وَالَّذِينَ يَبْرُزُونَ بِمَوَاهِبِ فَدَّةٍ فِي الْفُنُونِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَنُضِيفُ إِلَى هَذِهِ الْقَائِمَةِ النُّخْبَةِ الْقَادِرَةِ عَلَى كَسْبِ الشَّعْبِيَّةِ بِالتَّأَثِيرِ الْإِيجَابِيِّ عَلَى الْمُجْتَمَعِ بِمَا يَقْدُمُونَ مِنْ بُحُوثٍ قِيَمَةٍ فِي الْمَجَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَعُودُ بِالنَّفْعِ الْعَامِّ وَلِخَيْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

إِنَّ هَذِهِ الْإِجَابَةَ لَا بَأْسَ بِهَا وَلَكِنْ مَا يُتَوَجَّعُ الْإِنْسَانَ وَيُمَيِّزُهُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا. هُوَ الْقَلْبُ الْكَبِيرُ الْقَادِرُ عَلَى إِشْعَاعِ حُبٍّ دَافِيٍّ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ. فَالْحَاجَةُ مَاسَّةٌ إِلَى تِلْكَ الْقُلُوبِ الَّتِي تَفِيضُ بِالْحُبِّ الْخَالِصِ عَلَى الْآخَرِينَ. خَاصَّةً الْمُعَوَّقِينَ وَالْمَرْضَى وَالْأَطْفَالَ الْمَحْرُومِينَ مِنْ حَنَانِ الْوَالِدِينَ. لِإِنَّهُ مِنَ الْعَسِيرِ أَنْ نَحْيَا دُونَ اسْتِشْقَاقِ عَبِيرِ عَطْرِى يَقُودُ مِنْ كَلِمَاتٍ مُعْبَّرَةٍ بِالْفَطَرَةِ عَنْ مَحَبَّةٍ صَادِقَةٍ لَا تَنْتَظِرُ الْمُقَابِلَ. وَلَوْ كَانَ رَدًّا فَعَلِ الْآخَرِينَ غَدَوَانِيًا. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يُسَجِّلُ عِدَّةً أَمْثَلَةَ نَخْتَارُ مِنْهَا فِلِيمُونَ الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَةِ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ يَقُولُ فِيهَا: "لَأَنَّ لَنَا فَرْحًا كَثِيرًا وَتَعَزِيَةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ. لِأَنَّ أَحْشَاءَ الْقَدِيسِينَ قَدْ اسْتَرَحَّتْ بِكَ أَيُّهَا الْأَخ".^٢

إِنَّ الْمُجْتَمَعَ النَّاجِحَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى اكْتِشَافِ الْمَوَاهِبِ وَاسْتِثْمَارِهَا. وَالْمُجْتَمَعُ الْفَاشِلُ يَدُوسُ النَّبْتَ الْبَسِيطَةَ الَّتِي لَمْ تَزْهَرْ بَعْدَ. وَيُطْفِئُ وَمِيضَ النُّورِ وَهُوَ وَلِيدٌ صَغِيرٌ فِي مَهْدِهِ. يَتَأَذَى بِرُؤْيَا الْمُعَوَّقِينَ وَيُغْضُ الطَّرْفَ كَى لَا يَرَاهُمْ. يَصُمُّ أذْنَيْهِ حَتَّى لَا يَسْمَعَ أَنْيْنَ الْمَاسُورِينَ الَّذِينَ قَبْدَهُمْ إِبْلِيسُ بِقُبُودِ الْخَطِيئَةِ. لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ فِينَا مَوَاهِبَ شَتَّى لِنَعِيشَ حَيَاةً أَفْضَلَ. لَا لِنَكُونَ مِعُولَ هَذَمٍ وَتَدْمِيرٍ فِي الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ. إِنَّ الذِّكَاءَ إِذَا لَمْ يُنَوِّجْ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ اسْتَحَالَ إِلَى غَيَابٍ. إِنَّ أَحْسَنَ اسْتِخْدَامِ الْمَوَاهِبِ الَّتِي أَعْطَانَا اللَّهُ إِيَّاهَا كُنَّا حَقًّا أَذْكِيَاءَ. وَإِنْ أَسَانَا فَتَحْنُ بِلَا جَدَالٍ أَغْبِيَاءَ. الْأَمْرُ مَتْرُوكٌ لِإِرَادَةِ الْإِنْسَانِ. فَبِإِرَادَتِنَا نَكُونُ أَذْكِيَاءَ فَهَذَا كَمَا قَلْنَا اخْتِيَارُنَا. وَأَنْ نَكُونَ أَغْبِيَاءَ فَذَلِكَ اخْتِيَارُنَا كَذَلِكَ.

كُلُّ وَاحِدٍ فِينَا مَسْئُولٌ عَمَّا اخْتَارَ وَسَيَجْنِي ثَمَارَ اخْتِيَارِهِ أَوْ يَتَحَمَّلُ عَوَاقِبَهُ. فَلْيَتَنَا نَصْغِي لَصَوْتِ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَعْطِيهِ مَكَانًا فِي قُلُوبِنَا. إِنَّا نَفْهَمُ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ أَنَّ الذِّكَاءَ وَالْغَبَاءَ هُوَ سُلُوكُ شَخْصِيٍّ. فَبُولُسُ الرَّسُولُ يَقُولُ: "انظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ. لَا كَجُهْلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ". وَكَلِمَةُ اللَّهِ تَحْدَرُنَا أَيْضًا بِالْقَوْلِ: "لَا تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ". فَتَحْنُ بِلَا عُذْرٍ إِنْ سَلَكْنَا كَجُهْلَاءَ. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يُسَجِّلُ قِصَصًا لِشَخْصِيَّاتٍ كَانُوا أَذْكِيَاءَ فِي نَظَرِ أَنْفُسِهِمْ. وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَغْبِيَاءَ فِي نَظَرِ اللَّهِ. وَفِي عَجَالَةٍ قَصِيرَةٍ نَحْكِي مَا جَاءَ عَنْ ثَلَاثَةِ مِنْهُمْ.^٣

أَوَّلُ الْأَذْكِيَاءِ الْأَغْبِيَاءِ يُدْعَى جِيحَزَى.. وَرَدَّ ذِكْرُهُ بِسَفَرِ الْمُلُوكِ الثَّانِي الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ. كَانَ مُرَافِقًا لِأَلِيشَعَ النَّبِيِّ. لَمْ يَسْتَحْسِنْ جِيحَزَى أَنْ يَرْفُضَ أَلِيشَعَ النَّبِيَّ عَشَرَ وَرَثَاتٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَسِتَّةَ أَلْفٍ شَاقِلٍ مِنَ الذَّهَبِ وَعَشَرَ حُلَلٍ مِنَ الثِّيَابِ جَاءَ بِهَا نَعْمَانُ رَئِيسُ جَيْشِ أَرَامَ الَّذِي كَانَ أَبْرَصَ وَاسْتَدْعَمَ اللَّهُ أَلِيشَعَ النَّبِيَّ لِشِفَائِهِ مِنْ بَرَصِهِ. وَلَكِنْ جِيحَزَى لَمْ تَفْتَهُ هَذِهِ الْفُرْصَةُ وَعَادَ إِلَى رَئِيسِ الْجَيْشِ نَعْمَانَ الْأَرَامِيِّ يَطْلُبُ بَعْضًا مِنَ الْهَدِيَّةِ مُدْعِيًا

استمع إلى الإنجيل

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٥ : ١٥ - ١٧ ،

^٢ إنجيل متى ٢٥ : ٣٣ - ٤٠ ، رسالة بولس الرسول إلى فليمون ٧

^٣ سفر الأمثال ٩ : ١٢

أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّ أَلِيشَعَ لِهَذَا الْغَرَضِ. وَنَالَ جِيحْزَى بِتِلْكَ الْحِيلَةِ مَا طَمَعَ فِي أَخْذِهِ مِنْ رَئِيسِ الْجَيْشِ نَعْمَانُ الْأَرَامِيِّ بَعْدَ شِفَائِهِ مِنْ بَرَصِهِ. عَادَ جِيحْزَى بِذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَثِيَابٍ. وَكَذَبَ عَلَى أَلِيشَعَ النَّبِيِّ رَجُلٌ اللَّهِ حِينَ سَأَلَهُ: "مَنْ يَا جِيحْزَى؟!" إِذْ أَنْكَرَ مَا حَدَّثَ مَعَهُ! فَقَالَ لَهُ أَلِيشَعَ النَّبِيُّ: "أَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبِي حِينَ رَجَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَرَكِبَتِهِ لِلْقَائِكِ؟! أَهْوَى وَقْتُتِ لَأَخْذِ الْفِضَّةِ وَلَأَخْذِ ثِيَابٍ وَزَيْتُونٍ وَكَرُومٍ وَغَنَمٍ وَبَقَرٍ وَعَبِيدٍ وَجَوَارٍ؟!" لَقَدْ قَرَأَ النَّبِيُّ أَفْكَارَ جِيحْزَى وَأَطْمَاعَهُ وَأَحْلَامَهُ وَقَالَ لَهُ: "بَرِصُ نَعْمَانٍ يَلْصِقُ بِكَ وَبِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ فَخَرَجَ مِنْ أَمَامِهِ أَبْرَصَ كَالثَّلْجِ".^١

إِنْ ذَكَاءَ جِيحْزَى قَادَهُ إِلَى الْحُكْمِ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْقُولًا رَفَضَ أَلِيشَعَ النَّبِيُّ لِلْهَدِيَّةِ الْمُقَدَّمَةِ مِنْ نَعْمَانُ رَئِيسِ جَيْشِ مَلِكِ أَرَامَ الَّذِي كَانَ أَبْرَصَ وَاسْتَخْدَمَ اللَّهُ أَلِيشَعَ النَّبِيُّ لَشِفَائِهِ. وَالْمَعْقُولُ أَنْ مَنْ نَالَ شِفَاءً مِنْ بَرَصِهِ بِوَاسِطَتِنَا. لَنَا حَقٌّ عَلَيْهِ أَنْ نَنَالَ مِنْهُ شَيْئًا نَظِيرَ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ. وَرَأَى جِيحْزَى نَفْسَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ شَيْئًا مُحَرَّمًا فَالْحَرَامُ أَنْ نَسْرِقَ مَا لَا أَنْ نَقْبَلَ هَدِيَّةً. وَقَادَهُ ذِكَاؤُهُ إِلَى الْخَدَاعِ وَالْكَذِبِ. أَحْيَانًا يُجِيزُ لَنَا ذِكَاؤُنَا مَا هُوَ غَيْرُ جَائِزٍ فَتَجَبَّى ثَمَارًا مُرَّةً. كَانَ جِيحْزَى ذَكِيًّا فَتَالَ وَزَنْتِي فِضَّةً وَخَلْتِي ثِيَابٍ. وَكَانَ غَبِيًّا فَتَالَ بَرَصًا يَلْصِقُ بِهِ وَبِنَسْلِهِ. لَيْتِنَا نَتَعَلَّمَ دَرْسًا وَنَنْتَبِهَ لِتَحْذِيرِ جَاءَ لَنَا بِكَلِمَةِ اللَّهِ: "لَا تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ".^٢

وثاني الأذكياء الأغبياء الغني الذي أخصبته أرضه بغلاتٍ وخيراتٍ وفيرة.. وَرَدَ ذِكْرُهُ بِإِنْجِيلِ لَوْقَا الْأَصْحَاحِ الثَّانِي عَشَرَ فِي مَثَلِ ضَرْبِهِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِمَنْ يَكْنُزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَبِيًّا لِلَّهِ. إِنَّمَا مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْإِهْمَالَ وَعَدَمَ التَّخَطُّيطِ فِي أَوَانِهِ خَطَأٌ فَادِحٌ لَا يَقَعُ فِيهِ إِلَّا مَنْ كَانَ غَبِيًّا. أَمَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي أَخْصَبَتْ أَرْضُهُ فَقَدْ كَانَ ذَكِيًّا. اعْتَنَى بِأَرْضِيهِ وَفَكَرَ فِي وَضْعِ خُطَّةٍ جَدِيدَةٍ وَهِيَ الشَّرُوعُ فِي هَدْمِ الْمَخَازِنِ الْقَدِيمَةِ وَبِنَاءِ أَوْسَعِ مِنْهَا.

وَلَكِنْ حِينَ نَتَأَمَّلُ كَلِمَاتِهِ نَكْتَشِفُ أَنَّهُ كَانَ غَبِيًّا. فَقَدْ قَالَ: "مَاذَا أَعْمَلُ؟". لِأَنَّ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟". ثُمَّ عَادَ يَقُولُ: "أَعْمَلُ هَذَا أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلَاتِي وَخَيْرَاتِي. وَأَقُولُ لِنَفْسِي يَا نَفْسِي لَكَ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِسَنِينَ عَدِيدَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي". لَقَدْ كَانَتْ كَلِمَاتُ ذَلِكَ الْغَنِيِّ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْأَتَانِيَّةِ وَالْجَهْلِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ. وَالْوَاهِبُ كُلِّ شَيْءٍ. وَأَنَّ الْأَعْمَارَ بِيَدِهِ. لَقَدْ ارْتَكَبَ هَذَا الْغَنِيُّ خَطَأً جَسِيمًا لَا يَقَعُ فِيهِ إِلَّا مَنْ كَانَ غَبِيًّا لِذَلِكَ قَالَ لَهُ اللَّهُ: "يَا غَبِي! هَذِهِ اللَّيْلَةُ تَطْلُبُ نَفْسُكَ مِنْكَ! فَهَذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟!" كَانَ ذَكِيًّا فَلَقَدْ اعْتَنَى بِأَرْضِيهِ لِهَذَا أَثْمَرَتْ. وَكَانَ غَبِيًّا فَكُلَّ مَا أَعَدَّ لِمَنْ يَكُونُ؟! لَيْتِنَا نَتَعَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ الْمَثَلِ وَنَصْنَعِي لَصَوْتِ التَّحْذِيرِ: "لَا تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ".^٣

وثالث الأذكياء الأغبياء يُدْعَى سِيمُونُ.. جَاءَ ذِكْرُهُ بِسَفَرِ أَعْمَالِ الرَّسُلِ الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ. كَانَ يَسْتَعْمَلُ السَّحَرَ وَيُدْهَشُ شَعْبُ السَّامِرَةِ وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَّبِعُونَهُ. لَقَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُفْنِعَ جَمِيعَ شَعْبِ السَّامِرَةِ أَنَّهُ رَجُلٌ ذَكِيٌّ. فَلَمَّا جَاءَ فِيلِبُّسَ وَبَشَّرَهُمْ بِمُلْكوتِ اللَّهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدُوا رَجَالًا وَنِسَاءً وَسِيمُونُ أَيْضًا أَمِنْ وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلَازِمُ فِيلِبُّسَ. وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ بَوْضِعَ أَيْدِي الرَّسُلِ يُعْطَى الرُّوحُ الْقُدُسُ قَدَّمَ لِبَطْرُسَ وَيُوحَنَّا دَرَاهِمَ قَائِلًا: "أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هَذَا السُّلْطَانِ". فَقَالَ لَهُ بَطْرُسُ: "لَنْكَنْ فَضْلكَ مَعَكَ لِلْهَلَاكِ. لِأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَتِي مَوْهَبَةَ اللَّهِ بِدَرَاهِمٍ لِأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ اللَّهِ. فَتَبَّ مِنْ شَرِّكَ هَذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ فِكْرَ قَلْبِكَ".

حَسَبَ سِيمُونُ نَفْسَهُ ذَكِيًّا وَبِفَضْطِهِ يَنَالُ مَوْهَبَةَ اللَّهِ. وَلَكِنْ بَطْرُسَ كَشَفَ لَهُ أَنَّهُ كَانَ غَبِيًّا. وَأَنَّ ذَلِكَ السُّلْطَانَ لَا يَقْتَتِي بِدَرَاهِمٍ وَعَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ وَيَطْلُبَ الْغُفْرَانَ. لَيْتِنَا نَتَعَطَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ قِصَصِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ وَنَسْلِكَ كَمَا قَالَ الْكِتَابُ: "بِالتَّحْقِيقِ لَا كُجْهَلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ مُفْتَدِينَ الْوَقْتِ وَلَا نَكُونُ أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ".^٤ عَزِيزِي الْقَارِئُ. أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِيَ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيُّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ تَدْبِيرِكَ لِخَلَاصِي وَتَبْرِيرِي مِنْ خَطَايَايَ فِي الصَّلِيبِ. أَسْأَلُكَ كَيْ تَهْبِي حِكْمَةً لِأَعْرِفَ مَشِيئَتَكَ فَاتَّبِعَهَا. وَالسُّلُوكَ الَّذِي لَا يُرْضِيكَ فَاتَّجَنَّبْهُ أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ وَاتَّقَا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ يَا مَنْ وَعَدْتَ بِقَوْلِكَ: مَنْ يَقْبَلْ إِلَى لَا أَخْرَجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر الملوك الثاني ٥: ١ - ٢٧

^٢ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكي ٥: ٢١ - ٢٣

^٣ إنجيل لوقا ١٢: ١٦ - ٢١

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ١٠ ، الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٥